

المطلب الأول: في طرق الرواية عنه وتحقيق صحتها

اشتهر أن أحمد رحمة الله لم يكتب بنفسه شيئاً من الفقه ولا الأرجوحة عن المسائل التي تقع له، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في الإعلام (29). شدة كراحته لذلك، فقال: وكان رضي الله عنه شديد الكراهة لتصنيف الكتب، وكان يحب تجريد الحديث، ويكره أن يكتب كلامه إلخ، وإنما حمله على الامتناع من كتابة المسائل الفقهية وما يذهب إليه الخوف من الخطأ في الجواب لسعة الأدلة، ونفق جنس الإنسان، أو الخوف من اعتماد التلاميذ على فتواه، وتركتهم البحث والتحصيل، والأخذ بالدليل، أو ترك ذلك تواضعنا منه، وتفقيرنا لشأن نفسه، كعادة العارفين بالله تعالى، فعلم الله حسن نيتها وقصدها، فأهلهم تلامذته ومن بعدهم أن اعتنوا بذلك الأرجوحة والاختيارات، فدونوها وأثثوا ما طفروا به عنه مما يتعلق بالأحكام والأداب والعقائد، والأصول والفراء وغيرها، وقد ذكر القاضي أبو الحسين تلامذته الذين رووا عنه خمسة وعشرين رجلاً، كما في الجزء الأول من طبقات الحنابلة، ومنهم الكثير من مشايخه وأقرانه، وقد اشتراك الجميع في الأخذ عنه، ومنهم من اختص برواية المسائل الفقهية، كما سرد بعضهم أبو الحسين في طبقات الحنابلة (7/1). فقال: وأما نقله الفقه عن إمامنا أحمد فهم أعيان البلدان، وأئمة الزمان، منهم ابنه صالح وعبد الله وابن عممه حبيل وإسحاق بن منصور الكوسج وأبو داود السجستاني وإبراهيم الغريبي وأبو يكرب المروذى وعبد الملك الشامي وحرب الكرمانى وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأبو زرعة الدمشقى ومتى بن جامع الأنبارى وأبو طالب المشكاني والحسن بن ثواب وابن مثبيش وابن بدينا الموصلى وأحمد بن قاسم والقاضي الرفقى وأحمد بن أحمر المزنى وعلي بن سعيد النسوى وأبو الصقر والبراطى والبغوى والشالنجى وعبد الرحمن المتقطب وأحمد بن الحسن الترمذى وأحمد بن أبي عبدة وأحمد بن نصر الخفاف وأحمد بن واصل القرى وأحمد بن هشام الأنطاكي وأحمد بن يحيى الحلوانى وأحمد بن محمد الصائغ وأحمد بن محمد بن صدقه وهم مائة ونيف وعشرون نفساً. وقد سردهم المرداوى في الإنصاف (12) (277). ورتبهم على الحروف فيبلغوا مائة وواحداً وتلائين نفساً، ثم ذكر المكترين فيبلغوا ثلاثة وتلائين شخصاً، وقد طبع بعض مؤلفاتهم، كمسائل الإمام أحمد لأبي داود صاحب السنن، ومسائل الإمام أحمد رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ ومسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ورواية صالح بن أحمد وغيرها، ويوجد مسائل آخرين لا تزال مخطوطة. تم إن تلك المسائل والممؤلفات المترفرقة قد جمعت وألقت، فهناك بعض تلامذة أولئك الرواة أو من بعدهم قد تتبعوا روایاتهم وممؤلفاتهم، وحرصوا على نقلها مشافهة أو كتابة، وبذلوا الجهد الكبير في جمع شتاتها، وضم بعضها إلى بعض، وترتبها وتنسقها، وكان أشره من جمعها وأعنت بها أبو يكرب الخلال؛ فقد صرف عنايته إلى جمع علوم هذا الإمام -رحمه الله- وتعجب في ذلك، وقطع المراحل والفيافي لاجلها، وكتبتها على الورق ونازلها، وصنفها كتاباً وقسمها إلى مواضيع، وبلغ كتابه الكبير المسمى بالجامع نحو مائة جزء في عشرين سفراً كما ذكره ابن الجوزي في المناقب (ص186). وابن القيم في الإعلام (1) (29). وغيرهما، ومع هذا التتبع والاستقصاء فقد فاته الشيء الكثير من فتاوى هذا الإمام ومسائله، والأخبار المنقوله عنه، قال شيخ الإسلام ابن

تيمية في مجموع الفتاوى (34) (111). وهؤلاء الذين ذكروا هذا كالخرقي وغيره بلغتهم بعض نصوص إحمد في هذه المسألة -يعني مسألة حضارة الصبي-. ولم يتلهمهم سائر نصوصه، فإن كلام أحمد كثير منتشر جداً وقل من يضبط جميع نصوصه في مسائل الفقه نحو أربعين مجلداً، وكترة من كان يأخذ العلم عنه، وأبو بكر الحال قد طاف البلاد، وجمع من نصوصه في مسائل الفقه نحو أربعين مجلداً، وفاته أمور كثيرة ليس في كتابه... فهو مع كثرته لم يستوعب ما نقله الناس. ا.هـ. ثم تبعه تلميذه الخاص أبو بكر عبد العزيز المشهور بغلام الحال، فكتب في المذهب الحنفي عدة مؤلفات، وجمع ما وقف عليه من الروايات ورتبها، ورجم بعضها على بعض، وجمع بين المختلفات، كما يتضح من اختياراته والنقول الكثيرة عنه، ثم جاء بعده تلميذه شيخ المذهب أبو عبد الله الحسن بن حامد الذي بذل جهداً كبيراً في نشر أقوال هذا الإمام وجمع متفرقها، والاستقصاء في تتبع ما في الإمكان الحصول عليه من الروايات والحكایات والممؤلفات في مسائل أ Ahmad وفتاویه، ونقلها بالأسانید للتأكد من صحتها، وقد ألف في ذلك كتاباً كبيراً سماه بالجامع في المذهب، بلغ نحو أربعون جزءاً، نقل ما فيه عن مشايخه الثقات، حتى اتصل إسناده بمؤلفي تلك المسائل من تلامذة الإمام أحمد الذين دونوا ما سمعوا عنه، وقد أحيى أن أقبل أسانيده التي ذكرها في أول كتابه المذكور، والتي نقل بها تلك المؤلفات عن أربابها الذين شافهوا بها الإمام أحمد وقد ذكرها أبو الحسين الفراء في طبقات الحنابلة في ترجمة ابن حامد رقم (638) قال -رحمه الله-
اعلم أن الذي يشتمل عليه كتابنا هذا من الكتب والروايات المأكولة من حيث نقل الحديث والسماع منها كتاب الأئمّة، وصالح وعبد الله وابن منصور وابن إبراهيم وأبي داود والميموني والمرزوقي وأبي الحارث وأبي طالب وحنبل وعبد الله بن سعيد وأبي النضر وأبي الصقر ويعقوب بن بختان وإبراهيم بن هانئ ومحمد بن علي وعمر بن محمد النسائي وعبد الكريم بن الهيثم القطان وأحمد بن الفاس وذكرنا بن الفاس وذكرها بن الفرج ومحمد بن الحكم وابنه يكر وحرب الكرماني ويوسف بن موسى وأحمد بن أصرم المري و محمد بن يحيى الكحال وابن مشيش وأبي زرعة و مسلم بن الحاج والمشكاني وإبراهيم الحربي و أحمـد بن هشـام وكتـاب الـخرقـي فأـمـا كـتابـ الـأئـمـةـ فـقـرـأـهـ عـلـىـ أـمـهـ أـمـدـ بـنـ سـالـمـ الـحـتـلـيـ قـالـ:ـ حـدـثـاـ أـبـوـ حـفـصـ عـمـ الشـرـابـيـ قـالـ:ـ حـدـثـاـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ فـأـخـبـرـاـ إـنـ مـالـكـ وـابـنـ الصـوـافـ فـيـ الإـجازـةـ عـنـهـ،ـ وـأـخـبـرـنـاـ إـنـ جـعـفـرـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـاسـ السـوـاقـ عـنـ أـبـيـ العـزـيزـ عـنـ أـبـيـ الصـوـفـيـ عـنـهـ،ـ وـأـمـاـ بـنـ مـنـصـورـ وـيـقـوـلـ:ـ فـعـنـ الطـيـالـسـيـ عـنـهـ،ـ وـأـمـاـ بـنـ دـاـوـدـ فـأـخـبـرـنـاـ إـنـ حـيـوـيـةـ الـخـازـنـ عـنـ أـبـيـ الـخـازـنـ عـنـهـ،ـ ثـمـ ذـكـرـ أـسـانـيدـ إـلـىـ أـولـكـ الـرـوـاـةـ عـنـ أـحـمـدـ كـلـهـ وـاحـدـ إـلـىـ أـنـ قـالـ:ـ وـأـمـاـ كـتابـ الـخـرـقـيـ فـأـخـبـرـنـاـ إـنـ بـكـرـ الـخـرـقـيـ عـنـهـ،ـ ثـمـ ذـكـرـ أـسـانـيدـ إـلـىـ أـلـوـلـكـ الـرـوـاـةـ عـنـ أـحـمـدـ مـنـ كـلـ زـلـ.ـ أـنـ النـاقـلـيـنـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ -ـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.ـ وـأـمـاـ بـنـ دـاـوـدـ فـأـخـبـرـنـاـ إـنـ سـمـيـاـنـهـ وـغـيرـهـ،ـ أـشـيـاتـ فـيـمـاـ نـقـلـوـ،ـ وـأـمـانـهـ فـيـمـاـ دـوـنـوـهـ،ـ وـوـاجـبـ تـقـبـلـ كـلـ مـاـ نـقـلـوـ،ـ وـإـعـطـاءـ كـلـ رـوـاـيـةـ حـظـهاـ عـلـىـ مـوـجـبـهاـ،ـ وـلـاـ تـقـنـعـهـ إـنـ اـنـفـرـدـتـ،ـ وـلـاـ تـقـنـعـهـ إـنـ قـيـسـ الـمـقـرـيـ عـنـهـ،ـ ثـمـ ذـكـرـ أـسـانـيدـ إـلـىـ أـلـوـلـكـ الـرـوـاـةـ عـنـ أـحـمـدـ أـقـولـ بـهـ وـتـرـكـهـ وـانـ عـرـىـ عـنـ حـدـ الصـرـيـحـ فـيـ التـرـكـ وـالـرـجـوـ أـقـرـ عـلـىـ مـوـجـبـهـ،ـ وـاعـتـنـىـ حـالـ الدـلـلـ فـيـهـ،ـ لـاعـتـقـادـ بـمـثـانـةـ مـاـ اـشـهـرـ مـنـ رـوـاـيـةـ،ـ وـقـدـ رـأـيـتـ بـعـضـ مـنـ أـصـاحـابـيـاـنـ قـالـ:ـ إـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ رـجـعـ عـنـهـ،ـ وـهـذـاـ قـوـلـ مـنـ لـاـ ثـقـةـ لـهـ بـالـمـذـهـبـ؛ـ إـذـ لـاـ عـرـضـ عـلـىـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ فـاصـطـرـبـ؛ـ لـأـنـ لـمـ يـكـنـ يـقـدـرـ أـنـ هـذـاـ مـدـوـنـ،ـ فـمـاـ أـنـكـرـ عـلـيـهـ مـنـ ذـلـكـ حـرـفـ،ـ وـلـاـ رـدـ عـلـيـهـ مـنـ جـوـابـهـ جـوـابـ،ـ بـلـ أـقـرـ عـلـىـ مـاـ نـقـلـهـ،ـ أـوـ وـصـفـ مـاـ رـسـمـهـ،ـ وـاشـتـهـرـ فـيـ حـيـاةـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ ذـلـكـ بـيـنـ أـصـاحـابـهـ،ـ فـاتـخـذـهـ النـاسـ أـصـلـاـ إـلـىـ آخرـ أـوـانـهـ الـخـ.ـ وـاخـتـلـفـ أـصـاحـابـهـ فـيـ كـتـبـهـ؛ـ أـيـقـالـ:ـ فـيهـ قـدـيمـ لـاـ حـكـمـ لـهـ؟ـ فـقـالـ الـخـالـلـ فـيـ كـتـابـ الـعـقـيقـةـ:ـ إـنـ مـاـ رـوـاهـ مـهـنـاـ،ـ قـالـ:ـ سـأـلـتـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ عـنـ رـجـلـ يـخـتـنـ اـنـهـ لـسـعـةـ أـيـامـ،ـ فـكـرـهـ،ـ وـقـالـ:ـ هـذـاـ فـعـلـ الـيـهـودـ،ـ وـقـالـ لـيـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـيلـ كـانـ الـحـسـنـ يـكـرـهـ أـنـ يـخـتـنـ الرـجـلـ اـبـيـ لـسـعـةـ أـيـامـ،ـ إـنـ ذـلـكـ قـدـيمـ،ـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ مـاـ رـوـاهـ حـنـيلـ وـغـيرـهـ،ـ وـلـفـظـهـ يـخـتـنـ إـنـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ قـالـ:ـ إـنـ خـتـنـ يومـ السـابـعـ فـلـاـ بـأـسـ،ـ وـإـنـماـ كـرـهـ الـحـسـنـ لـثـلـاـيـتـشـيـهـ بـالـيـهـودـ،ـ وـلـيـسـ فـيـ هـذـاـ شـيـءـ.ـ وـقـالـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ جـعـفـ فـيـ مـسـائـلـ،ـ إـدـاهـمـاـ مـنـ كـتـابـ اـبـنـ مـنـصـورـ وـالـأـخـرـ فـيـ كـتـابـ الـمـرـزوـقـيـ مـاـ يـطـلـقـ مـاـ فـالـخـالـلـ فـقـالـ عـبـدـ الـعـزـيزـ فـيـ الـأـيـمـانـ فـيـ الـحـدـودـ وـمـاـ رـوـاهـ اـبـنـ مـنـصـورـ قـدـيمـ،ـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ مـاـ رـوـاهـ حـرـبـ وـصـالـحـ لـاـ يـمـيـنـ فـيـ شـيـءـ وـأـنـ حـدـودـ،ـ وـأـنـ مـاـ رـوـاهـ الـمـرـزوـقـيـ فـيـ الـقـائـلـ:ـ يـاـ لـوـطـيـ أـنـ يـسـالـ عـمـاـ أـرـادـ،ـ فـقـالـ:ـ أـرـدـتـ أـنـكـ مـنـ قـوـمـ لـوـطـ،ـ لـادـ،ـ قـوـلـ قـدـيمـ،ـ وـالـعـمـلـ مـاـ رـوـاهـ مـهـنـاـ وـغـيرـهـ،ـ أـنـ عـلـىـ الـحـدـ،ـ وـهـذـاـ قـوـلـ مـتـمـيـزـ أـنـ يـكـوـنـ كـتـابـ الـكـوـسـ وـمـسـائـلـهـ،ـ وـكـتـابـ مـهـنـاـ وـمـسـائـلـهـ،ـ وـكـتـابـ الـمـرـزوـقـيـ وـمـاـ جـاءـ بـهـ،ـ تـرـكـ لـأـنـهـ قـدـيمـ،ـ هـذـاـ عـنـدـيـ لـيـتـيـقـيـ أـنـ يـعـولـ عـلـيـهـ،ـ وـإـثـانـهـ قـدـيمـ وـجـدـيـداـ،ـ لـاـ يـكـوـنـ مـنـ قـبـلـهـ قـدـيمـ،ـ وـمـهـمـاـ لـمـ يـوـجـدـ ذـلـكـ بـطـلـ أـنـ يـكـوـنـ الـقـدـيمـ دـوـنـ الـجـدـ.ـ وـلـيـسـ جـوـابـ إـمـانـاـ فـيـ الـأـرـمـةـ وـالـأـعـصـارـ إـلـاـ يـمـتـنـعـ مـاـ يـرـوـيـ عـنـ الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ.ـ مـنـ الـأـنـارـ يـقـدـمـ أـنـ مـاـ يـوـجـدـ بـيـنـ الـأـخـلـافـ يـحـسـنـ أـنـ جـمـعـ بـيـنـهـ،ـ وـجـمـعـ كـلـ جـوـابـ عـلـىـ حـالـ،ـ كـمـاـ جـمـعـ الـفـقـهـاءـ بـيـنـ أـحـادـيـثـ الـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ.ـ الـتـيـ بـطـهـرـ فـيـهـ اـخـلـافـ.ـ لـاـ يـسـقـطـ نـهـاـيـاتـ مـوـجـبـاتـ بـدـاـيـاتـ مـوـجـبـاتـ فـيـهـ اـخـلـافـ،ـ وـأـنـهـ إـذـ ثـبـتـ الـقـوـلـ فـلـاـ يـرـدـ إـلـاـ بـالـيـقـيـنـ،ـ فـكـذـلـكـ فـيـ جـوـابـهـ،ـ إـذـ الـعـلـمـاءـ قـدـ أـنـكـرـوـاـ عـلـىـ أـصـحـابـ الشـافـعـيـ مـنـ حـيـثـ الـجـدـيدـ وـالـعـتـقـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ يـقـنـعـ إـلـاـ مـاـ سـبـقـ بـهـ وـلـاـ جـبـ السـكـوتـ فـيـ ذـلـكـ،ـ وـطـائـقـةـ نـاـيـةـ فـصـلـتـ فـقـالـتـ:ـ مـاـ كـانـ مـنـ فـيـ لـأـصـولـ فـإـنـهـ لـاـ يـجـبـ فـيـ شـيـءـ إـلـاـ مـاـ كـانـ الـقـوـلـ مـنـ الـأـئـمـةـ فـيـهـ سـابـقاـ،ـ وـعـمـلـوـاـ فـيـهـ عـلـىـ مـاـ نـقـلـهـ أـبـيـ طـالـبـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ فـيـ الـأـيـمـانـ،ـ أـنـ مـنـ قـالـ:ـ يـاـ لـوـطـيـ وـهـيـ جـهـمـيـ،ـ وـمـنـ قـالـ:ـ إـنـهـ غـيرـ مـخـلـوقـ "ـفـقـدـ اـبـتـدـعـ،ـ وـأـنـهـ يـهـجـرـ حـتـىـ يـرـجـعـ.ـ أـنـ ذـلـكـ وـعـدـ عـلـىـ مـخـالـفـةـ أـمـرـ لـاـ يـسـعـ الـجـوـابـ فـيـهـ،ـ إـنـ كـانـ مـنـ الـفـرـوـعـ فـيـ الـفـقـهـ،ـ إـنـ كـانـ يـسـعـ الـجـوـابـ،ـ وـأـنـ كـانـ بـالـقـوـلـ مـنـ فـنـدـرـاـ،ـ كـمـاـ أـنـ إـمـانـاـ صـارـ فـيـ الـأـصـولـ إـلـىـ طـاـلـبـ التـنـزـيلـ،ـ وـقـدـ بـيـنـ إـمـانـاـ أـحـمـدـ فـيـ الـقـرـآنـ أـنـ لـاـ يـشـكـ لـاـ يـقـدـمـ،ـ وـأـنـ الـفـالـقـيـنـ بـالـحـكـيـمـ وـالـمـحـكـيـ،ـ وـالـلـفـظـ وـالـمـلـفـوـظـ،ـ وـالـتـلـوـةـ وـالـمـلـنـوـ،ـ وـرـنـادـقـ.ـ أـهـ.ـ هـذـاـ أـخـرـ كـلـ اـبـنـ حـامـدـ نـقـلـهـ بـتـمامـهـ مـعـ طـولـهـ،ـ لـيـقـ الفـارـقـ عـلـىـ اـحـتـاطـ اـلـوـلـكـ الـعـلـمـاءـ وـشـيـمـهـ فـيـ الـنـفـلـ،ـ وـعـلـىـ ثـقـمـهـ بـأـلـلـكـ الـمـشـاـخـ الـذـيـنـ دـوـنـوـاـ تـلـكـ الـمـسـائـلـ،ـ وـأـنـكـرـهـ لـمـ يـسـتـوـعـبـ مـاـ نـقـلـهـ شـيـءـ مـنـ مـحـوـيـاتـهـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ فـرـقـ بـيـنـ مـقـدـمـهـ وـمـتـأـخـرـهـ،ـ وـالـلـهـ المـوـفـقـ.